

فلسفة الأنوار: (دراسة تحليلية)

د. محمد بحر محمد حسن

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك - جامعة الملك فيصل

المستخلص

سلطت الورقة الضوء على الأنوار بوصفها حركة فلسفية فكرية. والهدف من دراسة الموضوع هو توضيح حقبة زمنية من ذلك العصر اصطلاح على تسميتها بعصر الأنوار حيث كان اسماً على مسمى حيث بدأ الفكر يتحرر فيه من القيود، وأيضاً بيان أن فلسفة (الأنوار) تؤكد على قيمة العقل الطبيعي، لكنها ترفض كل وحي، وكل ما يمكن نسبة إلى العناية الإلهية وللطرف الإلهي. وهذا يؤكد أنها ركزت على تقديس العقل ونقد التعسف. ويكتسب الموضوع أهميته من خلال إيضاح ماهية مفهوم عصر الأنوار، بالإضافة لإبراز المكانة المتميزة للعقل والحرية عند فلاسفة الأنوار. وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة. ومن النتائج التي توصلت إليها: بأنه ليس هنالك ما يسمى تنوير إلا بالرجوع للعقل والحيلولة دون وجود سيطرة في كل ما يمس حرية التفكير العقلاني. أيضاً تخلص العقل من سطوة تقديس الأشخاص، وكذلك اكتساب العقل مهارة التحليل النقدي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الأنوار، العقلانية، فولتير، النهضة، أوروبا

Abstract

The paper examines the Enlightenment as a philosophical and intellectual movement. The aim of the study of the subject is to clarify a period of that epoch called the Age of Enlightenment, as this name was appropriate when thought began to free itself from restrictions. It also shows that the philosophy of the (Enlightenment) emphasizes the value of natural reason but rejects any revelation and anything that can be attributed to divine providence and divine goodness. This confirms that it focused on the sanctification of the mind and the criticism of arbitrariness. The topic gains its importance by clarifying the essence of the concept of the Age of Enlightenment and emphasizing the prominent position of the spirit and freedom among Enlightenment philosophers. The descriptive analytical method was used in this study. It came to the following conclusions, among others: There is no enlightenment unless one returns to the mind and prevents everything that interferes with the freedom of rational thought from being controlled. Furthermore, the mind must be freed from the dominance of sanctifying people, and the mind must acquire the ability to critically analyze.

Keywords: philosophy, Enlightenment, rationalism, Voltaire, Renaissance, Europe

المقدمة

حينما يضل العقل البشري عن الطريق الذي رسمه له الوجي؛ تجده يتختبط في ردهات الظلام ظناً منه أن سعيه سيخرجه من ذلك النفق الذي سعى جاهداً للخروج منه فمهما ابتكر من حل تجده يتراجع بعد اقتناعه بعدم جدواه، وهذا حال الفكر الأوروبي الذي عاش رحراً من الزمن مكبلًا بترهات صنعت من قبل البشر أنفسهم؛ حتى اصطلاح على ذلك الزمن بعصر الظلمات لشدة ما تاه فيه الفكر الأوروبي. وفي هذا البحث نسلط الضوء على حقبة زمنية من ذلك العصر اصطلاح على تسميتها بعصر الأنوار^(١) حيث كان اسمًا على مسمى بدأ الفكر يتحرر فيه من القيود.

عندما ندرس فلسفة الأنوار لاسمها في الفلسفة الحديثة نحس بعظمته هذه الفلسفة سيما ما جاءت به من مفاهيم لصالح الإنسانية من قبيل الحرية والتحرر والعقلانية، والحداثة، والنهضة والتقدم. لكن للأسف عندما ننظر لما انتهت إليه هذه الفلسفة من مجتمعات استهلاكية مخالفة قيمياً وإنسانياً يعتقد أنها أن فلسفة الأنوار فقدت بريقها الذي كان مع العديد من الفلاسفة خاصة مع فولتير في فرنسا وكانت في ألمانيا. تكمن أهمية البحث في إيضاح وتحليل ماهية عصر الأنوار، مع تحديد هذا العصر وإبراز المكانة المتميزة للعقل والحرية لهم. وهدف البحث إلى توضيح الحقبة الزمنية التي سميت بعصر الأنوار، وبيان أن فلسفة الأنوار تؤكد قيمة العقل البشري، ولكنها ترفض كل جي يُنسب إلى العناية الإلهية واللطف الإلهي، مما يعفي أنها تركز على تقديس العقل ونقد التعسف. مع إيضاح أن عصر الأنوار كان ملهمًا لكثير من الفلاسفة الغربيين الذين كان لهم دور فاعل وقتذاك. ولقد اقتضت طبيعة الموضوع من الباحث اتباع المنهج الوصفي التحليلي. وقد جاء هذا البحث في مقدمة ومحчин وخاتمة. أما المبحث الأول فجاء فيه بيان عصر الأنوار وملامحه. وتضمن بيان مصطلح الأنوار، والعوامل التي ساعدت على قيام عصر الأنوار، وأهم سمات عصر الأنوار وجذوره ومعتقداته. أما المبحث الثاني فبعنوان: أبرز أعلام عصر الأنوار وفيه نماذج من رواد عصر الأنوار وأبرز أعلامه. وأخيراً الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: بيان عصر الأنوار وملامحه

أولاً: التعريف بالأنوار:

لغةً: (نور) : النُّورُ (الضَّيَاءُ وَالْجَمْعُ أَنْوَارٌ وَ (أَنَارٌ) السَّيِّءَ وَ (اسْتَنَارٌ) بِمَعْنَى أَيْ أَضَاءَةً. وَ (الأنوار)

^(١) (النور)، و(التنوير)، و(الأنوار)، و(الاستنارة): جميعها أسماء يُعبر بها عن هذا المفهوم، وتعرف الحقبة التاريخية التي تبلورت فيها المكونات الأساسية لهذا المفهوم بـ(عصر التنوير)، أو (عصر الأنوار)، أو (عصر الاستنارة). سنستخدم في هذا البحث مصطلح عصر الأنوار وفلسفة الأنوار للإشارة إلى تلك الحقبة.

الإِنَارَةُ. وَهُوَ أَيْضًا الإِسْفَارُ(الجوهرى، ١٩٨٧م، مادة نور).

ومعناه في الاصطلاح الفلسفى :

"مفهوم الأنوار عند الغربيين: ترجمة للمصطلح الغربي الذي يذكر عادة تحت عنوان: حركة الأنوار، أو فلسفة الأنوار، أو عصر الأنوار، أو فكر الأنوار".(الصباغ، ١٤٢٦هـ، ٢).

"فلسفة الأنوار أو حركة الأنوار (Philosophie des lumières) حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر تتميز بفكرة التقدم، والشك في التقاليد، ومعارضة الدين، والإيمان بالعقل، والدعوة إلى التفكير الذاتي، والتفاؤل بتأثير التعليم في الإصلاح الأخلاقي".(صلبيا، ١٩٨٢م، ٥١١/٢).

"فالأنوار إذن، بوصفه مصطلحا شائعا في الحياة الفكرية هو مصطلح أوروبي النشأة والمضمون والإيحاءات، بل إنه عنوان على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث حتى ليقال كثيرا في تقسيم مراحل هذا الفكر: "عصر الأنوار"(السفاف، د.ت، ٢٠٨/١). وقد ظهر مصطلح الأنوار في القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا تعبيراً عن الفكر الليبرالي البورجوازي ذي النزعة الإنسانية العقلية والعملية والتجريبية. ويتضمن هذا الفكر نزعة مادية واضحةً بعد إقصاء الالاهوت، وذلك بإحلال الطبيعة والعقل بدلاً من الفكر الغيبي الشيولوجي والخارق في تفسير ظواهر العالم ووضع قوانينه(المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ت، ١٦٣).

"الاستخدام العام لعقل الإنسان في جميع القضايا، وتبني شعار "لا سلطان على العقل إلا للعقل"، وهو شجاعة استخدام العقل ولو كان ذلك ضد الدين ضد النّص، والدعوة إلى تجاوز العقائد الغيبيّة، والإيمان بقدرة الإنسان الذاتيّة على الفهم والتحليل والتّشريع، والدعوة إلى الدولة العلمانية، وتجاوز النّص الديني أو إهماله أو تفسيره تفسيرات بعيدة عن سياقه وعن قواعد التفسير الموضوعية، والدعوة إلى المنهج التجاريي الحسي المادي واعتباره المنهج الوحيد الجدير بالثقة والاتباع"(الصباغ، ١٤٢٦هـ، ٧).

والأنوار اتجاه ثقافي ساد أوروبا في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من المثقفين من أمثال (فولتر)، و(ديدررو)، (كوندورسيه)، و(فولباخ)، و(بيكاريا)، الذين أخذوا عن الفلاسفة العقليين، (ديكارت)، و(اسيبيينواز)، و(لينتس)، و(لوك)، والذين طبعوا القرنين السابع عشر والثامن عشر بطبعهم الثقافي، حتى أطلق على هذه الفترة اسم عصر العقل، وكان الأنوار نتاجه (التبويجري، ٢٠١٥م، ١٣).

"ويمكن بشكل عام تقسيم أفكار الأنوار في ثلاثة مجموعات تحمل عناوين : (العقل، الطبيعة،

التقدّم)، وتكون في مجموعها الفلسفة الطبيعية، والأخلاق الطبيعية وأسسها العلم.

"والأنوار في الفكر الأوروبي، يعني التّحرر من التعاليم الموروثة التي تمّ القبول بها على أساس سلطة ما، كما يعني إعادة صياغة سلطة الحياة على أساس من النظر العقلي، وإرادة العمل عن طريق العقل.

ويتمثل الأنوار حركة عقلية أوروبية رأت العقل الوجود الحقيقي للإنسان، وسعت إلى تحرير الحضارة ومن الوصاية الكنسية والتّزعّمات الغبية والخرافات، وأمنت بتقدّم الإنسانية عن طريق البحث العلمي (زقزوقي، 1996م، 79).

ويرجع الفضل إلى الفيلسوف الألماني (كانت) في استخدام مصطلح الأنوار بوصفه تعبيراً عن الحركة العقلية التي بدأت في أوروبا في القرن السابع عشر، وبلغت أوجها في القرن الثامن عشر. وقد امتد تأثيره في الحضارة الأوروبية كلّها وفي الشعوب المتأثرة في الحضارة الأوروبية (زقزوقي، 1996م، 80). "ويشير هذا المصطلح إلى المذهب العقلاني في القرن الثامن عشر، والذي مهدت له بشكل واسع أعمال философов السابقين من أمثل: سبينوزا⁽²⁾، ريتشاردسون⁽³⁾، وفونتنل⁽⁴⁾، بير بايل⁽⁵⁾، وقبل كل ذلك نيوتن ولوک⁽⁶⁾ (الصياغ، 1426هـ، 3).

المقتضيات الأساسية لمفهوم فلسفة الأنوار:

إن فلسفة الأنوار هي فلسفة عقلانية متفائلة ت يريد الظهور عليناً، وتريد إنارة كل العقول وتخليصها من التّزعّمة الظلامية، في إطار هذا المقصود، مقصد التعميم الواسع ونشر الأنوار بشكل عام وفي جميع الأوساط، كتبت الموسوعة تحت إشراف "ديدرول" ⁷ تلك الموسوعة التي تشكل معجماً عاماً للعلوم والفنون والتقنيات (وقد صدرت بين عامي 1715م و1772م).

ونلاحظ مع حركة البنائين الأحرار⁽⁸⁾ (المساوية) (التي قدم لها "أندرسون" مؤسساتها وقوانيتها منذ

⁽²⁾ فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17، ولد في Amsterdam 24 نوفمبر 1632، وتوفي 21 فبراير 1677 في لاهاي.

⁽³⁾ اعتقد في توارث الصفات المكتسبة وطبق ذلك على التطور الثقافي الاجتماعي، عالم حيوان وأحياء ألماني.

⁽⁴⁾ كاتب فرنسي ولد في 11 فبراير 1657 وتوفي في 9 يناير 1757.

⁽⁵⁾ شخصية عامة فرنسية وفيلسوف الشكية وممثل حركة التنوير الفلسفية.

⁽⁶⁾ جون لوک فيلسوف تجريبي ومفکر سياسي ولد 1632 وتوفي 1704.

⁽⁷⁾ دنيس دي درو، فرنسي فيلسوف وكاتب موسوعي ولد في 1713م وتوفي في 1784م لارتباط اكتشافاته بالتجربة والحسن والعلم.

⁽⁸⁾ منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يختص الأخلاق، المتأثرين بها وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالق الإله.

عام(1723) كانت تنموا بشكل سريع جداً وتساند الأفكار الجديدة وقد أدانتها رسالة بابوية أطلقها البابا "كلمنت الثاني عشر" عام 1738 وهي تقدم خليطاً من فكر الأنوار ومن الروح العرفانية الإشراقية(الصباح، 1426هـ، 3).

السياق التاريخي للتنوير:

نستطيع أن نقول أن الأنوار قضية أوروبية محضر، انبثقت في المحيط الأوروبي، نتيجة لظروف كانت تسود المجتمعات الأوروبية، وهي رد فعل لهيمنة الكنيسة على الحياة العقلية والفكرية والثقافية في أوروبا. ولذلك فإن مفهوم قيام الأنوار الأوروبي على إلغاء دور الدين في الحياة مسألة طبيعية، إذا نظرنا إليه من زاوية ما كانت تمارسه الكنيسة الغربية من ضروب الاستبداد وألوان القهر، وما كانت تشيعه من أباطيل وخرافات، بحكم أن أوروبا كانت عهدها، تعيش العصور المظلمة، في حين كان العالم العربي الإسلامي يعيش ازدهاراً حضارياً واسع الإشعاع(التويجري، 2015م، 14-15).

إن الأنوار في المفهوم الغربي كان تنويراً للقرون الوسطى التي عاشتها أوروبا. وهنا ينبغي أن نتبين أن كلمة(القرون الوسطى المظلمة) لا تمثلنا، ولكن تمثل أوروبا والغرب، حين سقطت روما في القرن الرابع، وعادت النهضة في القرن الرابع عشر، أما نحن المسلمين فقد قدمنا الضياء للإنسانية والعالم كله، منذ بزوغ الإسلام في القرن السادس خلال ألف سنة كاملة، لقد قام المسلمون في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا بإعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ، في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القدسية(الجندى، 1989م، 4/61).

لقد كانت حركة الأنوار في أوروبا رد فعل طبيعي على الجبروت الذي كانت تمارسه السلطات الكنسية ضد العقل والإرادة الإنسانية. وهو وضع لم تعرفه الحضارة الإسلامية، وحالة لم يعشها المسلمون قط.

ولذلك فإن الاستقلال بالرأي والاعتماد على العقل في تفسير الظواهر ومعرفة كنه الأشياء الذين مثلهما الأنوار الأوروبي، كانا استقلالاً عن هيمنة الفكر الكنسي، وعقلية رافضة للكهنوت وتحرر من صورة المسيحية الغربية التي كانت سائدة يومئذ، وتقدماً عن الأفكار التي فرضها رجال الدين في أوروبا قبل عصر الأنوار في مواجهة (العقل) التي تمثل في تحالف الكنيسة والإقطاع كان (رد الفعل الأنواري)، الذي أعلن رفضه لسلطان الدين، ورفع شعاره القائل: (لا سلطان على العقل إلا للعقل).

لقد كانت القضية في أوروبا، واضحة المعالم، مفهومة الأدوار، منطقية التسلسل.

كانت الكنيسة في الموقف الخاطئ، سواء بعقيدتها المحرفة، وحجرها على العقل لمنع الناس من كشف ما في عقידتها من تحريف، أو بطغيانها في جميع المجالات، من طغيان روحي وطغيان مالي، وطغيان سياسي وطغيان عملي أو بما وقع من الفساد بين رجال الدين وأو بفضح الأديرة وأو مهزلة صكوك الغفران، أو بمحاكم التفتيش، أو بموقف الكنيسة ضد حركات الإصلاح التي تطالب برفع الظلم السياسي والاجتماعي عن كاهل الناس. وكان (أحرار الفكر) أقرب إلى الصواب، في معارضتهم للكنيسة ومقولاتها على الأقل، وإن لم يكونوا على صواب في محاربة الدين كله (التويجري، 2015، 14-17).

ثانياً: عوامل عصر الأنوار وللامتحنه وسماته

المقصود بعصر الأنوار هو ما نجم عن خضم العراك بين الدين النصراني ورجال الفكر حيث ظهرت مذاهب عديدة للإجهاز على سلطة الدين النصراني ورجاله فنشأ ما يسمى بعصر الأنوار وهي الفترة التي أقصي فيها الدين النصراني وحل محله العقل في كل شيء وصار له الحكم على الدين وعلى سلوك الناس بداية من النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، الذي عرف فيما بعد ذلك بعصر الأنوار أي سيادة العقل وحده دون منازع في رد فعل عارم لكبت الكنيسة له. سبقت عصر الأنوار عوامل ساعدت على النهوض ونفض الغبار بعد حقبة بالية ساد فيها الظلم والطبيقة والملكية المطلقة وكان هذا النهوض في أواخر القرن السابع عشر.

ومن الواضح فقد ظلت الاتجاهات الفلسفية الإغريقية – التي تمثل العقلانية قسماً بارزاً منها – تسسيطر على الفكر الأوروبي، حتى جاءت المسيحية الكنسية فغيرت مجرى ذلك الفكر في انعطافة حادة تقاد تكون مضادة لمجرى الأول الذي استغرق من تاريخ الفكر الأوروبي عدة قرون. فلم يعد العقل هو المرجع في قضايا الوجود إنما صار هو الوحي – كما تقدمه الكنيسة – وانحصرت مهمة العقل في خدمة ذلك الوحي في صورته الكنسية تلك ومحاولته تقديمها في ثوب معقول، حتى ظهر عصر الأنوار الذي نادى بسيادة العقل.

لقد نشأت فكرة الأنوار أول ما نشأت في البيئة الأوروبية الحادية المنزع، فقد كانت روح الأنوار الأحادية بل وشديدة العداء للكنيسة وللسلطة متمثلة في الدولة، وللخرافة وللجهل والفقير غالى الأنواريون في دعوتهم للعودة بالإنسان للطبيعة" (الحنفي، 1999، 1، 405).

في ذلك العصر أخذت أوروبا الباربة من نير الإقطاع وأغالل الكنيسة تبحث عن أنظمة ومناهج جديدة متحركة من التلازم التقليدي بين الشئون الحيوية، وبين القواعد الأخلاقية التي كانت منهج القرون الوسطى. وكانت الجفوة العميقية بين العلم والدين أبرز العوامل في انفصال النظريات الاقتصادية وغيرها عن المثل والقيم الدينية، وولادة الإله الذي عبده عصر الأنوار بسذاجة متناهية الطبيعة (سفر الحوالى،

(269/1)

ومن هنا نجد أن هنالك ثلاثة عوامل بارزة ساعدت على ظهور عصر الأنوار:

أولاًً : طغيان الكنيسة

من أبرز سمات القرن السابع عشر هو ثقل مكانة الكنيسة، واعتبارها مرجعاً للحكم في مناطق عدة يقول انجلس: "كان المركز العالمي الكبير للنظام الإقطاعي الكاثوليكية الملكية. فقد كانت هذه الكنيسة توحد مجمل أوروبا الغربية الخاضعة للنظام الإقطاعي، بالرغم من جميع الحروب الأهلية في منظومة سياسية كبرى تتصدى لأتيا الكنيسة الشرقية المنشقين، وللبلدان الإسلامية سواء بسواء. وكانت تحيط المؤسسات الإقطاعية بهالة من التكريس الإلهي". (بولتيزر، د.ت، 3) وساعد الكنيسة على الوصول لهذه المكانة ما أذاعته بين الناس من أن كل ما تقوله هو ما يريده الله؛ ففسرت علمها وحكمتها ونظرياتها أنها من عند الله. فالعلم والمعرفة من الله؛ مما أحاط هذا النمط بهالة التقديس الإلهي، ودعا عامة الناس إلى السكوت والإذعان لما تقوله الكنيسة؛ وكأنه أحد النصوص المقدسة حتى وصل بهم الحال إلى ربط قيود العلم بالكنيسة. فكانت تدرس عندهم ما وضعه أرسطو من الفيزياء، ولم يكن للأستاذ الذي يشرحها أن يزيد علها إلا بعد الرجوع إلى القديس توما، وإذا صعب شرح بعض المفردات فإنه يرجع إلى الشراح المأذونين. وهذا سبب حواجز حالت دون تطور العلم يقول انجلس: "لم يكن العلم حتى عصر النهضة سوى خادم الكنيسة الوضيع، وما كان يباح له أن يتخطى الحدود التي يقررها الإيمان؛ ولذلك لم يكن هناك علم بالمرة". (بولتيزر، د.ت، 6) مما أشعر الناس بالكتبت وضيق حدود التفكير. ولشدة هرجهم من ظلم الكنيسة فقد عدوا تقديم العقل على الدين هو بداية النور.

ثانياً: تسلل المادة إلى القرن الثامن عشر

كان لعدد من الفلاسفة دور في وصول المادة وانتشار مفهومها في ذلك العصر. وكان من أبرزهم جون لوک(1632-1704م) ونيتون(1643-1727م). فلوک بحث في أصل الأفكار، وردها إلى معطيات التجربة الحسية. وشبه النفس بلوح مصقول لم ينقش فيه شيء، والتجربة هي التي تنقش فيه المعاني والمبادئ. وضرب مثلاً هو دراسة اللغة، فالألفاظ مثل جزيئات المادة، ثم نقلت على نوعين: أحدهما من الجزيئات إلى الكليات بمشاهدة التشابه، والنوع الآخر من الماديات إلى الروحيات بالتشبيه والمجاز. وهكذا فلا يوجد في العقل شيء إلا وقد سبق وجوده في الحس. وأما نيوتن فكان لمنهجه العلمي واكتشافاته الأثر الواضح في فلاسفة عصر الأنوار فاكتشافه للجاذبية وأثرها على ترابط أجزاء الطبيعة، ووضع قانون لها واستخراج نتائج متفق عليها لهذا القانون دفع إلى البحث في الطبيعة والمحسوسات.

فكان لمنهج لوک ونيوتن الأثر الكبير في معارضته أفكار الكنيسة ودعا فلاسفة عصر الأنوار هذا المنهج إلى تحرير العقل، وجعل الميزان للأمور هو التجربة والعقل على عكس ما تريده الكنيسة من إحجام وکبح جماح الفكر.(وهبة، 1994 م، 19)

ثالثاً: الإقطاعية مقابل الحرية

النظام الإقطاعي هو النظام الذي ينظم العلاقات بين ملاك الأراضي (غالباً هم من طبقة النبلاء) وبين من يعمل في هذه الأرض وهم الفلاحين. فسمح هذا النظام باستغلال الإقطاعيين للفلاحين الذين يعملون عندهم. فمن تعب الفلاح وكدحه كانت تعيش طبقة النبلاء وطبيقة رجال الدين. وكانت العلاقة ما بين رجال الدين والإقطاعيين وثيقة. وعلى حساب الفلاحين كانت الدولة تنفذ سياساتها الداخلية والخارجية التي سخرت للإقطاعيين، وكانت قد فرضت زيادة على ذلك دفع الضرائب من الفلاحين للدولة فكان همّاً على هم الفلاحين. وحينما نأى عدد الإقطاعيين مقابل الفلاحين كان ضئيلاً على عكس الفلاحين الذين كانت تتنامي أعدادهم. وعند بلوغ القرن الثامن عشر دفع طمع الإقطاعيين إلى زيادة الضرائب على الفلاحين؛ مما لم يتمكن معه الفلاحون من دفع الضرائب فلظفهم الحالة الاجتماعية، وأصبحوا بلا عمل، وكانوا عالة على من حولهم. ومع الوقت تناهى عدهم فحداً بهم إلى ثورة شعبية تفجرت في أنحاء فرنسا(فولгин، 2006 م، 14).

أهم سمات عصر الأنوار

تميز هذا العصر بسمات وسمات جعلت له طابعاً مختلفاً عما سبق ومن هذه السمات:

أولاً: تمجيد العقل

وأبرز من ذهب إلى هذا الاتجاه هو فولتير، حيث مجد العقل مناكفة للتقاليد المضروبة عليهم من تمجيد للدين والكنيسة. فما حدث من فولتير هو ردة فعل لجبروت الكنيسة، فكان يكتب المقالات يشنع فيها بعمل الكنيسة، وكان يصف عقائدها بالخرافات حتى قال في أحد مقالاته: "إن الكاهن أول محثال يقابل أول أحمق".(ديورانت، د.ت، 133) وقال في بعض مقالاته: "الخلافات البسيطة في اللاهوت هي التي تسبب في نزاعات مديدة وحروب دينية، وما تسبب في ذلك سوى الكهنة الذين يعيشون من قوت الشعب البسيط الكاذح فيكونون ثرواتهم على حساب بؤس الشعب، ثم شراء ذمم الناس، وشراء العبيد، ويوجهون عامة الشعب إلى التعصب المذموم ؛ حتى يتمكنوا من سيادتكم والسيطرة عليكم، نشروا بينكم الأساطير والخرافات، وليس ذلك لتخافوا الله بل لتخافوهم هم". (ديورانت، د.ت، 133) فالكنيسة كانت تعلم أنها لن تحكم الشعب إلا بعد أن تلغى حرية العقل والبحث؛ فربطت عقول الناس ووضعت لهم الحواجز التي تمنعهم

من التفكير خارج المعتاد، وفولتير كان يضرب على هذا الوتر. فكانت الإشادة بالعقل الطبيعي وشعارهم في ذلك أن أنوار العقل الطبيعي وحدها هي القادرة على قيادة بنى الإنسان إلى الكمال والعلم والحكمة.

ثانياً : الاستقلال بالرأي

امتاز هذا العصر بالاستقلال عن هيمنة الفكر الكنسي، رافضاً الكهنوت وأفعال الإقطاعيين وحرروا سلطة التفكير، فكثير من الفلاسفة تأثروا بأقوال بيكون الذي يدعو إلى البحث في جميع ميادين العلم. فانطلقوا من هذا المنطلق فبرع نيوتن في البحث واستنتاج الترابط ما بين الأشياء. ولوك بحث في الأصول. وفولتير بحث في علاقة الناس فيما بينهم. و كانت بحث في أصول الدين وعلاقتها بالأخلاق، وكل هذه البحوث كانت محظوظة، وتمنع منها الكنيسة في ذلك الوقت.

ثالثاً : الدعوة إلى الأخلاق

وبعد في هذا الاتجاه كانط فكان يقول أن قيام الدين على اللاهوت غير آمن، ويعرض الدين للخطر. فمن الأفضل أن نتخلى عن اللاهوت، ونقضي عليه بالابتعاد بالدين عن حكم العقل وسيادته حتى لا يفسدها العقل المعرض للوقوع في الأخطاء، وليقم الدين على أساس من الأخلاق المطلقة، وليس مستمدة من نتائج التجارب. فالأخلاق أمر فطري في البشر، وكل ما تأمرنا به الأخلاق من صفات حميدة يعد أساساً للدين، ولا نأخذ مما يملئه علينا العقل من أخلاق.

رابعاً : التحرر من السلطة والتقاليد

وهذا اتضح كثيراً فيما ذكرناه من أفكار فولتير في معارضته لحال الإقطاعيين ونظام الحكم ورؤيته للمظالم التي تحدث من طرف الإقطاعيين ورجال الدين، فكتاباته ملئت بالاتجاه الثوري وساعد هذا حالة الغضب التي يعيشها عامة الشعب مما أدى إلى قيام ثورات على السلطة والتقاليد فكان الهجوم على الدين وعلى السلطات القائمة وتسفيهها وذمها. بسبب غطرسة رجال الدين الكنسي ثار الشعب على كل من له يد قمع على الفرد سواء أكانت سلطة سياسية أو دينية.

وقد ورثت هذه الفلسفة في الأرمان اللاحقة كل من:

- الفلسفة الوضعية والوضعيين على اختلافهم.

- الاشتراكية والاشتراكيون على اختلافهم.

-النزعـة الإنسـانية من كل شـكل ولوـن(الصـبـاغ، 1426هـ، 5).

عـلاقـة العـقـلـانـيـة بـعـصـرـ الأنـوارـ.

"فالعقلانية أو المذهب العقلي اتجاه لتمجيد العقل واعتماد أحکامه أصاب أو أخطأ، ضدَّ الاتجاه الذي في مهما كان الدين حقاً، ومهما كان الذي نُسب إليه صواباً، فالمُحْكَم في هذا الاتجاه هو العقل (حبنكة، 1991م، 159)." و"يحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدّها من التجربة العملية الحياتية، أيَّ أنَّ الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد".(الجهني، 1420هـ، 796/2)

العقلانية مذهب قديم جديد بنفس الوقت. بُرِزَ في الفلسفة اليونانية على يد سocrates وأرسطو، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثروا كثيراً في الفكر البشري أمثال: ديكارت ولبنتر وسبينوزا وغيرهم.

أهم فلاسفة هذا المذهب :

رينيه ديكارت 1596م – 1650م "من خلال الحقيقة التي عبر عنها بالصيغة الديكارتية المشهورة (أنا أفكـرـ، إذن أنا موجودـ)، ومن هنا يجد لديه من بين ما لديه من أفـكارـ فكرةـ كـائـنـ كـامـلـ أو فـكـرةـ اللهـ، وأدى به تأمل هذه الفكرة إلى ضرورة وجود شيء ما خارج ذاته مطابق لهذه الفكرة، فوصل إلى أنَّ الله لا بدَّ أن يكون موجوداً في واقع الأمر، وليس في أفـكارـهـ فحسبـ(كـاملـ وـآخـرونـ، دـ.ـ 191ـ).

وقال ليبنـزـ "بـأنَّ كل موجودـ حـيـ وليسـ بـيـنـ المـوـجـودـاتـ مـنـ تـفـاوـتـ فـيـ الـحـيـاءـ إـلـاـ بـالـدـرـجـةـ - درجة تميز الإدراكـ - والـدـرـجـاتـ أـرـبعـ: مـطـلـقـ الـحـيـ أيـ مـاـ يـسـمـىـ جـمـادـ، والنـبـاتـ فالـحـيـوانـ فالـإـنـسـانـ"(الجهـنيـ، 1420ـهـ، 796/2).

الجذور الفكرية والعقائدية للمذهب العقلاني :

"كـانـتـ العـقـلـانـيـةـ لـوـنـاـ مـنـ عـبـادـةـ الـعـقـلـ وـتـائـلـهـ وـإـعـطـائـهـ حـجـماـ أـكـبـرـ بـكـثـيرـ مـنـ حـقـيقـتـهـ.ـ كماـ كـانـتـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ لـوـنـاـ مـنـ تـحـوـيلـ الـوـجـودـ إـلـىـ قـضـاياـ تـجـرـيدـيـةـ وـفـيـ الـقـرـونـ الـوـسـطـيـ سـيـطـرـتـ الـكـنـيـسـةـ عـلـىـ الـفـلـسـفـةـ الـأـوـرـوبـيـةـ،ـ حيثـ سـخـرـتـ الـعـقـلـ لـإـخـرـاجـ تـحـرـيفـهـاـ لـلـوـجـيـ الـإـلـمـيـ فـيـ فـلـسـفـةـ عـقـلـيـةـ مـسـلـمـةـ لـاـ يـقـبـلـ مـنـاقـشـهـاـ،ـ وـفـيـ ظـلـ الـإـرـهـابـ الـفـكـريـ الـذـيـ مـارـسـتـهـ الـكـنـيـسـةـ انـكـمـشـ نـشـاطـ الـعـقـلـ الـأـوـرـوبـيـ،ـ وـانـحـصـرـ فـيـمـاـ تـمـلـيـهـ الـكـنـيـسـةـ وـالـمـجـامـعـ الـمـقـدـسـةـ،ـ وـاسـتـمـرـتـ عـلـىـ ذـلـكـ عـشـرـةـ قـرـونـ،ـ وـفـيـ عـصـرـ الـهـضـمـةـ،ـ وـنـتـيـجـةـ اـحتـكـاكـ

أوروبا بال المسلمين - في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي - أصبح العقل الأوروبي في سوق شديد لاسترداد حرفيته في التفكير، ولكنه عاد إلى الجاهلية الإغريقية ونفر من الدين الكنسي، وسحر العقل للبعد عن الله، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد، وذلك أن التفكير الديني معناه عندهم الخضوع للقيد الذي قيدت به الكنيسة العقل وحجرت عليه أن يفكر(الجهني، 1420هـ، 796/2)."

"وهكذا نجد هذا الاتجاه العقلي هو الذي قاد إلى الإلحاد وادعاءاته الباطلة، وأراء كثيرة في تعليل ظاهرات الكون تعليلات فلسفية لا تخضع للتجربة ولا للمشاهدات الحسية... فتضارعت أفكار الناس وتباينت، وأظهرت تجربة اعتماد العقل والثقة بكل أحكامه تناقضاتٍ لا حصر لها، وكشفت عدم كفاية العقل وحده للحكم على كل شيء(حبنكة، 1991م، 160)." .

وهنالك من غال في تقدير العقل وارتكبوا خطأً فاحشاً إذ تصوروا أنه لا حدود لمعرفته فذهبوا ببنون عليه كل ما يريدون ويحملونه ما لا يتحمل ومن هؤلاء الغلاة العقليين الذين أحلوه محل الإله في القدس وهو صاحب التشريع عندهم إليه يتحاكمون وإليه.

المبحث الثاني : أبرز أعلام عصر الأنوار

عصر الأنوار لم يكن في فرنسا فقط بل بدأ في إنجلترا على يد لوک ونيوتون وبرزت معالمه بعد ذلك عند فولتير في فرنسا ولهذا يذكر به وانتقل أخيراً إلى كنط في ألمانيا. وهنا ذكر لأبرز من تذكر لهم هذه الحركة:

أولاً: فولتير(1694 – 1778 م):

ولد في باريس وكان أبوه كاتب عدل، وأمه صاحبة ميل ارستقراطية. ماتت أمه وهي تلده، وكان مريضاً هزلاً حتى توقعوا أنه لن تطول به الحياة، ولكن قدر الله له أن طالت به الحياة حتى وصل عتبات الثمانين كان له أخ اسمه أرماند أشرف على تعليم فولتير وتنقيفه إلا أنه ألد وحكم عليه بالإعدام وكان يمتاز فولتير يقول الشعر فتنبهت لنهايته إحدى سيدات المدينة وتركت له مبلغاً ليشتري به الكتب. وقد اشتمل تعليمه على مبدأ الشك كبداية للحوار لإثبات الحقائق حتى الشك في الدين. وغالباً هذا الشك يؤدي بالإنسان إلى عدم الإيمان كان يقضي أغلب وقته في صغره يقرأ في اللاهوت وحينما جاء وقت العمل ضاق والده منه ذرعاً؛ لأنه كان مشتغلاً بالأدب، ولا يصلح للعمل فأرسله عند قريب لهم وسارط أموره على غير ما يريد والده فقربيه افتتن بذكاء فولتير، وفتح له باب السفر فأغضبه ذلك والده وأرسله مع سفير فرنسا إلى هولندا، وافتتن هناك بامرأة كان يقضي معها أغلب الوقت، وعندما علم والده بذلك أرجعه إلى فرنسا. وفي

تلك الفترة كانت أمور الحكم لا تسير بشكل جيد؛ فقامت مظاهرات على الحكم، واشترك فيها فولتير ابن الحادية والعشرين عاماً، وذاع صيته فيها. وكان مما اشتهر عنه قصيدة قالها في الوصي على العرش الذي ثارت ثائرته فأدخل فولتير إلى السجن عام 1717 م.

وفي ذلك السجن سمي نفسه بفولتير لأسباب لا تعرف إلى الآن. واسمه الحقيقي (فرانسوا رايت) وهناك تدفقت مواهبه الشعرية، فنظم هناك ملحمة تبين منها للوصي أنه بريء، فأمر بإخراجه ودفع نفقته فشكراه على ذلك.

انتقل فولتير من السجن إلى المسرح، وأنتج هناك مسرحية حزينة بعنوان (مائدة أوديب) ظل يمثلها لخمسة وأربعين ليلة، وحضر أحدها والده الذي كان متزوجاً منه، ولكنه أعجب بمسرحيته وأثنى عليه وكان قد كسب كثيراً من المال مما يعمله. ولاقت ملحنته التي ألفها في السجن رواجاً حتى ذاع صيته، وأصبحت له مكانة عند الطبقة الارستقراطية عاش بعدها ثمان سنوات في الصالونات الارستقراطية.

إلا أن ما حصل له أن حسده بعض النبلاء وأمروا مجموعة من اللصوص فضربوه فقام بعدها فولتير وتحدى أحد النبلاء بمبازته فخاف ذلك النبيل وذهب لعمه رئيس الشرطة، واشتكى فولتير له فسجنه للمرة الثانية، ولم تطل فترة سجنه، ولكنه خرج منه بشرط أن ينفي إلى إنجلترا، فذهب لإنجلترا وبقي فيها ثلاثة أعوام.

هناك درس فولتير اللغة الإنجليزية وأنقذها خلال عام، وسرعوا ما انخرط في مجتمع الأدب الإنجليزي فكانت له صلات ممتازة مع الأدباء هناك. وكان مما لاحظه فولتير الحرية التي يتمتع بها الجميع هناك فيما يكتبون، وكان هذا نتيجة لاختلاف المذاهب هناك ولا يوجد عند إنجلترا ترهيب بالسجن كما في فرنسا وكانت لازال أفكار بيكون تعم في الأجواء ومنهجه الاستقرائي يستخدم في كل مكان وأفكار لوك وهوبز كما حضر جنازة نيوتن وتشرف بأنه حضرها، وكان قد عكف على علوم نيوتن، فأصبح تلميذاً ماهراً فيها، وكان له الفضل في نقلها إلى فرنسا بعد ذلك. فكان يرسل انتباعاته إلى أصدقائه يقارن فيها ما بين فرنسا وإنجلترا، ما بين الاستعباد والحرية، ولم يكن له أن يطبعها هناك؛ لأن مصيرها في فرنسا الحرق والمصادرة، هاجم في تلك الفترة الطبقة الكسولة من الارستقراطية وهاجم رجال الدين الذين يتزرون المجتمع بجمع التبرعات وأشار إلى أن سجن الباستيل مصير من يسأل هناك فكانت هذه الرسائل وقوداً لقيام الثورة فيما بعد.

وفي عام 1729م أرسل الوصي على العرش إذناً لفولتير بالعودة إلى فرنسا؛ فرجع وعاش في فرنسا خمسة أعوام إلا أن ناشراً وقعت في يديه الرسائل التي كتبها فولتير في إنجلترا فنشرها دون إذنه. وبيعت تلك الرسائل ولاقت رواجاً مما؛ أغضب السلطة وأمرت بإحراقها عليناً، واتهمته بمعاداة الأخلاق والدين فهرب

بعدها خوفاً من السجن. ولكن هذه المرة هرب مع امرأة متزوجة كانا قد وقعا في الحب، وما يميز هذه المرأة أنها ترجمت علوم نيوتن إلى الفرنسية، وعكف مع تلك المرأة على القيام بالتجارب العلمية وكان منزلهما مكاناً للضيوف وصالوناً تقرأ فيه المسرحيات وتدار فيه الحوارات، فكتب فولتير في تلك الفترة بعض رواياته المشهورة كرواية كنديد وصادق و ميكروميجاس وركز في تلك الروايات على الأفكار التي يريد منها الانتشار ورمز بالأسرار باعتبار أنهم خرافات فلاقت رواجاً وكانت أفضل طريقة لنشر أفكاره.

وبعد فترة من الزمن ألف فولتير كتاباً في التاريخ الفرنسي وتاريخ العالم، ولكنه صور المسيحيين بأنهم غزاة لروما ونقد بعضاً من عقائدهم فغضب من ذلك رجال الدين فأصدر الملك قراراً بإبعاد فولتير عن فرنسا للأبد فاشترى فولتير بيتاً قريباً من فرنسا وكان عمره قد ناهز الرابعة والستين واستقبل في ذلك المكان الكثير من الضيوف والرسائل التي كانت تهال عليه من الملوك والمثقفين من جميع أنحاء أوروبا وحينما ساءت أحوال فرنسا السياسية والدينية خرج بعض الفرنسيين من معتقداتهم وألحدوا مثل دالامتر وديدرول وألفوا كتاباً كانت أفكاره تدل على أن خوف الناس وجهم أدى بهم إلى تصور وجود الآلهة وأن الوهم والخيال والحماس أدى إلى استمرار هذه الأفكار. وضمنوا أفكارهم في كتاب سموه الموسوعة ووجدت تلك الفئة ضالتها في فولتير؛ فنصبوه زعيمًا عليهم، ووافقوه مع أنه يرى أن معتقداتهم تحتاج إلى تصحيح وطلبوه منه أن يكتب معهم في الموسوعة، فكتب لهم وألف تزاماً مع تلك الكتابات أشهر كتبه وهي الموسوعة الفلسفية التي تكلم في كل مواضع الفلسفة بكل جراءة.

ومما يجدر ذكره هنا ما حدث لفولتير في أواخر حياته كان يعيش بالقرب من مدينة طولوز وكان النظام فيها قد ضرب حصاراً على البروتستان فلا يعملون محامين ولا صيدليين ويحرم على الكاثوليك الاستعانة بهم، فحدث أن أحد الآباء البروتستان انتحر ابنه؛ لأنه لم يجد عملاً بسبب الحصار المقام عليهم. وخاف الأب أن يتم التمثيل بحثة ابنه؛ لأنه انتحر وكانت التعاليم (الطقوس) تدعو بالطواف بجثة المنتحر عرياناً أمام الناس، فقام الأب واستعان ببعض أقاربه فشهدوا له أن ابنه مات موتة طبيعية ولكن ثمة من نشر إشاعة أن الأب قتل ابنه لأنه تحول للكاثوليكيية فقادت الكنيسة بتعذيب الأب حتى مات، وفرت العائلة إلى فولتير لاجئة إليه وأخبرته بخبرها وخبر ذلك الفتى ابن السادسة عشرة عاماً الذي اتهم بتشويه الصليب فقطع رأسه ورمي جثته في النار، وكان يحمل معه موسوعة فولتير الفلسفية.

فما كان من فولتير إلا أن غضب وشن حملة شعواء على الكنيسة عنوانها (استحقوا العار)، فأرسل المئات من الرسائل إلى أصدقائه وأتباعه يحضهم على مناكفة تصرفات الكنيسة المшиينة، فما كان من الكنيسة إلا أن حاولت رشوطه بإعطائه منصباً مرموقاً فرفض وبدأ بكشف خرافاته وإقناع الناس بها. وفي آخر حياته أراد أن يتوجه لفرنسا لحضور مسرحية من مسرحياته وقد نصرحه الأطباء بعدم فعل هذا، ولكنه

غامر فحضر مسرحيته، ولقي تعباً شديداً مات على إثره، ولم يدفن هناك لمعارضته التعاليم الدينية، فدفنه أصحابه في مكان بعيد عام 1778 م، وكان يبلغ من العمر 83 عاماً.

أهم أفكار فولتير التي دعا إليها واعتقدتها في حياته:

أولها: أنه مع ما ذكرناه من مناكفته للكنيسة واجتماعه مع الملاحدة ففولتير لم يكن ملحداً؛ بل كان يؤمن بالله فالإيمان بالله عنده هو مبعث الأخلاق الحميدة، وهو ما يمنع الإنسان من الغش والابتعاد عما يعيي المرء من مساوئ، فالله سيحاسب على الذنوب، ويثيب على الأعمال الصالحة. وليس هناك مذهب واحد يعبد به الله بل كل المذهب يتبعه بها لله؛ لأن الله تعالى يفهم جميع اللغات والمذاهب والدين قائم على العبادة والعدل وعمل الخير.

ثانيها: كان فولتير يميل في نظام الحكم إلى النظام الجمهوري، ويراه مناسباً للدول الصغيرة واضحة الحدود والجغرافيا. وأما مع الدول الكبيرة المتراكمة الأطراف قد تنشأ من هذا النظام حروب أهلية. وكان لا يهتم بالقومية ولا بالوطنية، فالوطنية عنده أن يكره الإنسان بلاد العالم، ويحب وطنه فقط. ولربما يحب الإنسان الخير لبلده على حساب دول أخرى.

ثالثها: الكره الواضح في كتاباته للحروب فالحرب عنده ألم الجرائم، وأعظم الشرور. ويرى أن في الحرب تحاول كل الدول إلباب نفسيها لباس العدل وقال في قاموسه "يحتاج الإنسان إلى عشرين عاماً ليبلغ أشدّه إلا أنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف عام ليكتشف نفسه ومعرفة توكيه، بينما تكفي دقيقة واحدة لقتله". (ديورانت، د.ت، 135).

رابعها: عدم المساواة ضرب من الخيال، فعدم المساواة أمر لابد منه بل هو أساس المجتمع؛ لأن الناس يختلفون في القوة، فمساواة الناس في الحكم والملك والحصول على الأمانة ما هو إلا من ضروب الخيال.

خامسها: اعتقد أن تطوير المجتمعات لا يمكن إلا أن يكون عن طريق التعليم والتنمية بالطرق السلمية (ديورانت، د.ت، 114).

ثانياً : مونتسكيو (1689-1755 م)

من أسرة أرستقراطية أمضى ثلث سنوات في إنجلترا؛ فتأثر بالإنجليز وهناك ألف كتاباً باسم (روح القوانين) يعرف فيه القانون بأنه علاقات ضرورية مستمدّة من طبيعة الأشياء (وهبة، 1994 م، 32). والحرية عنده هي الحق بأن يعمل الإنسان ما يريد في حدود القانون وكان هدف ما يريد من كتاباته أن تكفل

الحكومات حرية الفرد في أن يعمل ما يريده في حدود ما وضعوه من قوانين، وألا يكره على عمل لا يرغب به. وخير ما يكفل الحرية استقلال السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهي ما اجتمع في يد حاكم واحد، فإنه يسوق للطغيان الذي ينفر منه مونتسكيو(وهبة، 1994، م، 31).

ثالثاً : جان جاك روسو (1712-1778م)

من أسرة فرنسية بروتستانتية المذهب وعاش أغلب حياته فقيراً وكان يتعدد كثيراً على الفلسفه وبخاصة دidero، كتب كتاباً مهماً وكاد أن يعتقل بسبب كتبه فهرب إلى إنجلترا، يذهب روسو إلى وضع أسس مدنية للمجتمع بدلاً من الأسس الدينية التي كانت منتشرة في وقته من أن الدولة خاضعة للكنيسة والسلطان الأقوى هو ما أتى من الله عن طريق الكنيسة، أيضاً كان يعتقد روسو أن الاجتماع هو ما أفسد الإنسان. ومثل ذلك بمثال أن الإنسان أول ما وجد في الغابة بلغة ولا صناعة ولا فضيلة ثم خرج من الغابة لأسباب طبيعية من برد أو حر ونحوه؛ فالتحق بغيره من أبناء نوعه فتعاونوا تعاوناً مؤقتاً فاضطروا إلى الاجتماع بصفة دائمة فاختبرت اللغة وبعد أن اكتشف الحديد الذي هو أساس الزراعة فاحتاج معه إلى تقسيم الأراضي فيزداد التفاوت فيما بينهم، ويتفاهم الخصام. وانقسم الناس إلى أغنياء وفقراء وهكذا يتحول طبع الناس إلى شر بالاجتماع ويأتي هنا ما كتبه في كتابه العقد الاجتماعي في إصلاح هذه المشكلة بأن يتنازل الإنسان عن حقوقه للمجتمع بأكمله فيصبح الكل متساوياً أمام القانون والقانون يقر ما فيه مصلحة الجميع، وكان يرى أن الإنسان لا يمكن أن يكون صالحاً إلا إذا لم يقيده سلطان إلا سلطان العقل(وهبة، 1994، م، 40).

رابعاً : دidero (1713-1784م)

في رأي معاصريه هو صاحب المؤلفات التي طبعت بطبع الإلحاد والابتعاد عن الدين؛ فكان يعتمد في أفكاره على المادية. وأراءه مخالفه للدين، وتنتهي النهج العلمي العقلاني، وقد سجن بسبب تلك الأفكار كتب موسوعة بمعاونة من دالامبير وفولتير التي ذكرتها سابقاً، وتلمس في كتاباته نقد الأفكار التقليدية، والبحث عن الحقيقة بعيداً عن طرق الدين وتعاليم الكنيسة. وكان يرى أن الحرية للفرد هبة يتمتع بها حينما يستمتع بعقله.

خامساً : كانت (1724-1804م)

ولد في روسيا بكونسبرج، وكانت مقاطعة ألمانية في ذلك الوقت من أسرة فقيرة. وكانت أسرته متدينة جداً مما حدا به تعمقه في الدين للقلة منها حينما كبر عمل محاضراً في كونسبرج أحد الميتافيزيقا. وكان يركز في بداية عمره عن الطبيعة وما حوله. وأبدع قوانين لها ألف كتابه الأشهر (نقد العقل الخالص). ويرى فيه

أن العقل ما هو إلا المعرفة عن طريق الحواس، والتجربة ماهي إلا إثارة العقل. والحقائق لا تحتاج لتجربة فهـي واضحة بأصلها، فالشمس تخرج من الشرق ولا يمكن أن تخرج من الغرب، وأن $2+2=4$ فهي حقائق ثابتة لا تحتاج لتجربة. وكان يرى أن الدين جماعة الأخلاق، ويجب أن ننظر للنصوص المقدسة ونزنها بقيمـتها الأخلاقـية، ولا نحكم بأنـها الحكم والمـرجع على القـانون. وأنـ الكـنيـسـة هي جـمـاعـة من النـاس يـجـمعـهـم ويـوـحـدـهـم ولـأـؤـهـم لـلـقـانـون الـأـخـلـاقـي مـهـما اـخـتـلـفـوا وـاـنـقـسـمـوا. وـالـمـسـيـح عـاش لأـجـل هـذـه الجـمـاعـة. وكانت هـذـه الـكـتـابـات في وقت تعـجـ فيه أـلـمـانـيا بـسـيـطـرـة الـكـنـيـسـة؛ فـضـايـقـوهـ في مـعـيشـتهـ وـرـضـخـ للـمـلـكـ. وقد دـعـا إـلـى الدـسـتـور المـدـنـيـ الجمهـوريـ (ديـورـانـتـ، دـ.ـتـ، 140ـ).

الخاتمة

نتـيـجة لـظـهـور أـفـكـار حـرـكـة الأنـوـار فـإـنـ أـغـلـبـ أـفـكـارـ روـادـهـ وـمـعاـصـرـيهـ كـانـتـ رـدـةـ فعلـ إـمـا لـلـكـنـيـسـةـ أوـ لـلـإـقـطـاعـيـينـ، فـحـيـنـماـ تـنـظـرـ إـلـىـ مـنـ غالـيـ فـعـلـهـ مـثـلـ دـيـدـرـوـ وـدـالـمـبـيرـ وـهـولـبـاخـ وـغـيـرـهـمـ الـذـيـنـ جـنـحـتـ بـهـمـ رـدـةـ فـعـلـهـمـ أـمـامـ طـفـيـانـ الـكـنـيـسـةـ إـلـىـ أـنـ أـحـدـواـ وـأـطـلـقـواـ العـنـانـ لـتـفـكـيرـهـمـ فيـ كـلـ شـيـءـ مـنـاكـفـةـ لـلـكـنـيـسـةـ.

وتـلـخـصـ أـهـمـ النـتـائـجـ فـيـ :

- أنـ فـكـرـ الأنـوـارـ وـفـدـ مـنـ الـمـجـتمـعـ الـأـورـوبـيـ، وـهـوـ فـكـرـ إـلـحادـيـ مـعـ مـلاـحظـةـ أـفـكـارـهـ تـتـشـابـهـ مـعـ الـحـدـاثـةـ وـمـعـقـدـاتـهـ.
- أنـ الـفـكـرـ الأنـوـارـيـ خـرـجـ بـسـبـبـ سـطـوـةـ الـكـنـيـسـةـ وـسـيـطـرـهـاـ عـلـىـ الشـعـبـ.
- الـعـقـلـانـيـةـ صـالـحةـ إـذـاـ كـانـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ شـرـحـ الـأـحـدـاثـ وـتـرـتـيـبـهـاـ اـسـنـادـاـ إـلـىـ قـوـانـينـ النـظـامـ الـعـقـلـانـيـ.
- عـصـرـ الأنـوـارـ هوـ فـرـصـةـ انـفـلـاتـ الـإـنـسـانـ مـنـ وـضـعـيـةـ مـتـدـنـيـةـ بـسـبـبـ أـخـطـاءـ شـخـصـيـةـ، وـضـعـفـ استـعـمـالـ عـقـلـ الـإـنـسـانـ، وـكـذـاـ ضـعـفـ تـحـلـيلـ الـأـمـورـ، فـكـلـمـةـ أـنـوـارـ تـحـيلـ عـلـىـ الـحـرـيـةـ وـالـاستـعـمـالـ الشـامـلـ لـلـعـقـلـ بـطـرـيقـةـ حـرـةـ..
- اـهـتـمـامـ بـعـضـ الـفـلـاسـفـةـ فيـ عـصـرـ الأنـوـارـ بـمـاـ يـسـمىـ بـالـعـقـلـ الـفـكـرـيـ أـمـثالـ دـيـدـرـوـ.
- الدـعـوةـ إـلـىـ عـقـلـانـيـةـ تـجـريـيـةـ حـسـبـ النـمـوذـجـ الـنـيـوـتـونـيـ (الـصـبـاغـ، 1426ـهـ، 7ـ).
- فـلـسـفـةـ الأنـوـارـ(ـالـأـنـوـارـ) تـؤـكـدـ إـذـنـ قـيـمـةـ الـعـقـلـ الـطـبـيـعـيـ وـالـأـنـوـارـ الـطـبـيـعـيـةـ، لـكـهـاـ تـرـفـضـ كـلـ وـحـيـ.
- يـعـدـ عـصـرـ الأنـوـارـ قـاعـدـةـ الـحـدـاثـةـ الـفـكـرـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ الـتـيـ اـنـطـلـقـتـ مـنـهاـ الـحـضـارـةـ الـأـورـوبـيـةـ.

المصادر والمراجع

- بولتيزير، جورج، **فلسفة التنوير والفكر الحديث**، د.ت.
- التويجري، عبدالعزيز، **مفهوم التنوير في التصور الإسلامي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو-ط2، 1436هـ-2015م.
- الجندي، أنور، **معلمة الإسلام**، دار الصحة للنشر، ط2، 1410هـ-1989م.
- الجبفي، مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية، ط4، 1420هـ.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاباح- تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.
- حنفى، عبد المنعم، **موسوعة الفلسفة والفلسفه**، ط2، 1999م.
- ديورانت، وول، **قصة الفلسفة**، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.
- زقروق، محمد، **الدين والفلسفة والتنوير**، دار المعارف، ط1، 1996م.
- سعيد، بسطامي محمد، **مفهوم تجديد الدين**، ط3، د.ت.
- السقاف، الشيخ علوي بن عبد القادر، **موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة**، إعداد: مجموعة من الباحثين، موقع الدرر السننية على الإنترنت dorar.net.
- الصباغ، عبد اللطيف، **مصطلح التنوير مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث "نظرة تقويمية"**، محاضرة أعدّها وقدّمها يوم الأربعاء 7 محرم 1426هـ بجدة.
- صلبيا، جميل، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والإنجليزية واللاتينية**، دار الكتاب اللبناني، 1982م.
- عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1404هـ.
- فولгин، ف، **فلسفة التنوير**، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
- كامل، فؤاد، العشري، جلال، صادق، عبدالرشيد، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، راجعها د. زكي نجيب محمود، دار القلم، لبنان - بيروت، د.ت.
- كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.
- الكفووي، أيوب بن موسى الحسيني القرىبي، أبو البقاء الحنفي، **الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة**، مصر، د.ت.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، كواشف زيف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط 1991م، 2.
- وهبة، مراد، مدخل إلى التنوير، دار العالم الثالث، القاهرة، 1994م.